

مفاهيم القرآن

(542) وهو "قدرة المستغاث على تحقيق الحاجة وعجزه عنه" ، فإذا طلب أحد من آخر حاجة لا يقدر عليها إلاّ الله عدّ عمله عبادة وشركاً ، فهذا هو ابن تيمية يكتب في هذا الصدد قائلاً : "من يأتي إلى قبر نبي أو صالح ، ويسأله حاجته ، ويستنجد به ، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه ويقضي دينه ، أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ ، فهذا شرك صريح يجب أن يستتاب صاحبه فإن تاب وإلاّ قتل"(1). لقد جعل في هذه العبارة للشرك معياراً آخر ، وهو قدرة المسؤول وعجزه عن تلبية السائل ، ولو كان هذا هو الميزان يجدر بابن تيمية أن يضيف بعد قوله : "قبر نبي أو صالح" جملة أخرى هي : "أو ولي حي" ليتضح أنّ المعيار الذي اعتمده - هنا - ليس هو موت المستغاث وحياته ، بل قدرته على تلبية الحاجة وعدم قدرته على ذلك ، كما فعل الصنعاني (وهو أحد مؤلّفي الوهابيين) إذ قال : "من الأموات أو من الأحياء". وإليك فيما يأتي نص عبارة الصنعاني في المقام : الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه مما لا ينكرها أحد ، وإنّما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم ، وطلبهم منهم أُموراً لا يقدر عليها إلاّ الله تعالى من عافية المريض وغيرها ، وقد قالت أُم سليم : يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له . وقد كانت الصحابة يطلبون الدعاء منه وهو حي وهذا أمر متفق على جوازه . _____ 1 . زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور : 156 . وفي رسائل الهدية السنية : 40 نجد ما يقرب من هذا المطلوب أيضاً يراجع كتاب كشف الارتياح .